

الحلف الأمريكي السعودي الإسرائيلي يريد تغيير النظام في ايران.. لماذا نعتقد أنهم واهمون؟



مسلم عباس

الأجواء في الشرق الأوسط تنذر بزيارة حرب جديدة، لم تشهد لها المنطقة مثيلاً في السابق، أطراها الولايات المتحدة الأمريكية وإسرائيل وال سعودية من جهة، و ايران في الضفة المقابلة لهذا الحلف الثلاثي، اذ يتحدث قادة الثلاثة الكبار عن شن حرب اقتصادية كبيرة تجبر ايران على التخلي عن البرنامج النووي، وبعدها يتم تجوييع الشعب وانهيار الاقتصاد الى ان يتم اسقاط النظام كلياً بعد ان تقتلع اسنانه ويصبح غير قادر على افتراس خصومه.

اطراف الحلف الثلاثي لديهم رؤية متطرفة جداً للحل مع ايران، وال الحرب هي الحوار فقط ولا شيء غيره، ففي الرياض اعلن ولي العهد والحاكم الفعلي محمد بن سلمان _ اعلن_ الحرب ضد ايران منذ فترة مبكرة اذ قال في حوار صحفي في مايو من عام 2017 ان السعودية لن تنتظر حتى تصبح المعركة في السعودية بل نعمل على أن تكون المعركة لديهم في إيران وليس في السعودية". انه منطق الحرب ولا شيء غيره كما يرى بن سلمان.

اما رئيس الوزراء الإسرائيلي بنيامين نتنياهو فلا يختلف عن حليفه العربي محمد بن سلمان، لكنه يقدم خطة أكثر عقلانية ترتكز على تدمير البرنامج النووي الإيراني عبر صربة عسكرية شاملة، وقد وصف الصفقة النووية التي عقدت في عهد الرئيس الأمريكي السابق باراك أوباما بالكارثية.

في الجانب الأمريكي يقول الرئيس دونالد ترامب انه يريد القضاء على النظام الإيراني تماماً ويدعمه

فريقه الذي يكن كل الكراهية للجمهورية الإسلامية، والذي تم انتقاده لهذه الحرب أساساً من وزير الدفاع جيمس ماتيس إلى وزير الخارجية مايك بومبيو وإلى مستشار الأمن القومي جون بولتون عراب حرب العراق، هؤلاء كل واحد منهم يجد في الحرب على إيران مدخلاً لحل مشاكل الشرق الأوسط كلها.

موقع "والا" العربي، كشف عن زيارة سرية أجراها رئيس جهاز الاستخبارات الإسرائيلي "موساد" يوسي كوهين إلى واشنطن الأسبوع الماضي بحث خلالها مع مسؤولين كبار الملف الإيراني، إذ يأتي ذلك بالتزامن مع تنسيق آخر يجري في العاصمة السعودية الرياض.

وقال الموقع في تقرير له نشرته وسائل إعلام عربية (الاحد 8 تموز 2018) إن "الاجتماع عُقد قبل أيام من اجتماع وزراء خارجية مجموعة ""5+1"" وإيران في فيينا الأسبوع الماضي، لمناقشة مستقبل الاتفاق النووي بعد انسحاب الولايات المتحدة الأمريكية منه".

تقرير مشابه نشرته شبكة "سي ان ان" الأمريكية تحدث عن زيارة وفد أمريكي رفيع المستوى إلى السعودية يتقدمه مدير تخطيط السياسات بالإدارة الأمريكية، بريان هوك، وذلك لمناقشة سياسة الولايات المتحدة الأمريكية تجاه إيران مع الجانب السعودي، ونقلت الشبكة الأمريكية عن بيان لوزارة الخارجية الأمريكية قوله إن مساعد وزير الخارجية لموارد الطاقة، فرانك فانون، حضر الاجتماع الذي يهدف لنقل مساعي الإدارة الأمريكية لمعالجة ما يسميه "أنشطة إيران الخبيثة" في المنطقة.

لم يكشف عن هذه اللقاءات إلا القليل من المعلومات، إلا أن وسائل الإعلام السعودية والإسرائيلية تجذب باخبار الحرب، وتضع الخطط لكيفية استبدال النظام الإيراني الحالي عبر ممارسة الضغط الاقتصادي أو لا حتى يضيق الناس بتظاهرات قد تمثل شرار الحرب الكبرى ضد إيران.

المتابع للشأن الإيراني يطرح السؤال الآتي: إلى أين يريد الحلف الثلاثي أن يذهب مع إيران؟ هل يريدون اسقاط النظام فعلاً؟ وإذا ما أرادوا ذلك فهل يستطيعون؟

الواقع الجيوسياسي للمنطقة يجيب على كل هذه التساؤلات، ويبين مدى قدرة إيران أو الحلف الثلاثي على المناورة، فالحلف الأمريكي الإسرائيلي السعودي عازم هذه المرة على اسقاط النظام الإيراني فعلاً، والعقوبات التي قال الرئيس الأمريكي دونالد ترامب بأنها ستكون الأشد في تاريخ إيران تعبر عن هذا التوجه، وهو يريد اليوم أن يمنع إيران من تصدير أي لتر من النفط، وسارع إلى توفير البديل للأسوق التي تعتمد على النفط الإيراني عبر الاتفاق مع السعودية لتعويض ذلك.

لكن التخطيط شيء والتنفيذ شيء آخر، إذ إن فكرة اسقاط النظام الإيراني تبدو حمقاء وغير حكيمة بالطلاق، ومجرد الضغط على سوق النفط الإيراني دفع الدول الأخرى إلى الاعتراض لأنها لا تريد من واشنطن أن تتلاعب بالعالم فيما يحلو لها، وهنا اعترضت الهند ورأى الصين من جانبها أن ما يحدث في الخليج يمثل خطراً على الاقتصاد العالمي، أما الاتحاد الأوروبي فرفع رأية المعارضة منذ بداية انسحاب ترامب من الاتفاق النووي.

العقبة الأكبر في فكرة اسقاط النظام الإيراني هي القدرات الإيرانية الذاتية نفسها، والفيتو الروسي

على ارض الواقع، ففي مجال القدرات الإيرانية، تملك طهران الكثير من الخيارات مهما حاول الحلف الثلاثي التقليل منها، اول هذه الخيارات هي اغلاق الخليج امام ناقلات النفط، ما يهدد بارتفاع غير مسبوق بأسعار النفط، منذرة بتازم الاقتصاد العالمي، اذ يتوقع خبراء ان يصل سعر برميل النفط الى اكثر من 200 دولار.

تملك ايران أيضا صواريخ قادرة على تغطية مساحات واسعة من القواعد الامريكية المنتشرة في المنطقة، وباعداد كبيرة وقدرة عالية على التصويب الدقيق، هذا بالإضافة الى قدرتها على تحريك حلفائها اشد الخواص الرخوة للحلف الثلاثي. يمكن لحزب الله ان يشعل الجبهة الإسرائيلية، ويمكن لحركة انصار الله الحوثيين ان يغلقوا مضيق باب المندب او على اقل تقدير ان يجعلوه ممرا غير امن، كما قد يزيدون من ضربا لهم في العمق السعودي.

اما روسيا فلا يمكن ان تكتفي بالمشاهدة اطلاقا، اذ ان اسقاط النظام الإيراني الحالي، وبارادة أمريكية يعني بالمحصلة النهائية مجيء حكومة موالية لواشنطن تكون حدودها ملائقة للحدود الروسية، وهذا ما يدفع موسكو للتحرك الفوري لتقديم المساعدة غير المباشرة لطهران، بما يسمم في دفع خطر سقوطها، وقد نشهد تكرار السيناريو السوري تماما، اذ بدأت روسيا تقديم مساعدة غير مباشرة، وحينما وجدت الأجواء تتعقد لصالح خصوم الرئيس السوري بشار الأسد وجدت من المضوري التدخل المباشر لمنع سقوطه .

وفي ملف ايران ستتمسك موسكو اكثر لان سقوطها يعني بالإضافة الى محبي حكومة موالية لواشنطن ان تخسر حليفا قويا يمثل ورقة مساومة ضد الولايات المتحدة في الملفات الإقليمية وحتى الدولية، ومن المؤكد ان موسكو لن تفرط بطهران، وهي التي تمكنت بدمشق رغم انها اقل أهمية لديها اذا ما فورت بالوضع الإيراني. وقد تدخل الصين في مجال الدفاع عن ايران لان سقوط حكومتها يقضي على جزء كبير من مشروع طريق الحرير الذي يعد عصب التفكير الاستراتيجي الصيني في السنوات المقبلة.

خلاصة الحرب انها ستكون نتائجها اضعافا لنفوذ ايران في المنطقة وتأليب للرأي العام الإيراني ضد الحكومة وحتى محاولة الالتفاف بشرعية النظام الإسلامي ككل بعد ان انهار الاقتصاد بشكل كبير ما يجعل استعادة عافيته في القريب العاجل امرا صعبا، لكن الحلف الثلاثي لا يمكن ان يذهب الى ابعد من ذلك فالحسابات السياسية والعسكرية الإقليمية والدولية اكبر بكثير من صيحات التدمير، وايران ليست العراق ولا ليبيا ولا حتى سوريا، انها دولة لها خصوصيتها لها ثقل إقليمي يحفظ التوازنات السياسية ولا تريد حتى دوائر القرار الأمريكية نفسها ان يختل هذا التوازن.